مدرسة الإسكندرية

مدخل إلى

رسالة القديس بولس إلى فليمون

ترجمة د. عادل زكري

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد السادس - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٦

مدخل إلى رسالة القديس بولس إلى فليمون

ترجمة: د. عادل زكري

مدخل إلى رسالة القديس بولس إلى فليمون*

ترجمة د. عادل زكري
adel_zekry@alexandriaschool.org

العبد هو أخ لنا

إنّ رسالة فليمون وهي الأقصر والأكثر شخصيّة في رسائل الرسول بولس، إذ يمكن أن نعبر عليها سريعًا عندما نستعرض العهد الجديد. إلاّ أنّ تلك الرسالة تمثل نافذة هامة على حياة الكنيسة في بيت أحد الأفراد، وعلى براعة خدمة الرسول بولس، وعلى التغيُّر الذي يجب أن تلمسه العلاقات البشريّة الحياتيّة على أرض الواقع في ضوء الإيمان. لذا تتطلّب رسالة فليمون كامل انتباهنا. فها هو بولس يجمع شمل عبد هارب وسيده معًا كأخوين "في المسيح" و"الجسد". يعطينا بولس درسًا عميقًا عن الاختلاف الحقيقي المزمع أن يُحدثه الإنجيل في حياة شخصٍ ما، وعن الطريقة التي يستطيع من خلالها الذين قبلوا نعمة الله أن يمرروها فيما بينهم.

الخلفية التاريخيّة والهدف الرعوي: قصّة فليمون

حالة الرسول بولس

يكتب الرسول بولس رسالة فليمون من السجن. فهو يؤكّد مرتين على حالته كسجين (فل١، ٩)، ويشير مرة واحدة إلى رفيقه في السجن أبفراس (فل٢٣). وكبقيّة رسائل السجن، هناك جدل واسع النطاق فيما يتعلّق بأي سجنٍ كان بولس مأسورًا عند كتابته لرسالة فليمون. إذا كان ما سبق بمثابة إشارة على إقامته الجبريّة في روما (وهذا يضع الرسالة بين عامي ٦١، ٦٣م)،

* عن كتاب:
DeSilva, David Arthur: An Introduction to the New Testament: Contexts, Methods and Ministry Formation. Downers Grove, Ill. : InterVarsity Press, 2004.

فإنّ هذا يعني رحلة طويلة جدًّا ومكلِّفة لأنسيمس. كما أنّ هذا يجعل من تعليمات بولس بخصوص إعداد منزل له غير متوافقة إلى حدٍّ ما.

وبينما يبدو معقولاً جدًّا أن يُخطِّط بولس لزيارة رعاياه المؤمنين الذين في الشرق بعد إخلاء سبيله، وذلك بعد أربع سنوات قضاها في عددٍ من السجون، منتظرًا عددًا من المحاكمات، فإن بيت فليمون في آسيا الصغرى لن يكون الخيار المنطقي الأول. لقد سُجن بولس في قيصريّة قبل رحلته إلى روما (٥٨ ـ ٦٠م)، فيما يبقى هذا المكان أقرب إلى آسيا الصغرى، إلاّ أنهّا ما زالت الاختيار غير الأمثل[١].

مرة أخرى نجد أنّ سجنه في أفسس يظهر كموقف يمكن الأخذ به في حياة الرسول بولس. وهذا بالتأكيد هو المكان الملائم جدًّا للتحركات الواردة في رسالة فليمون[٢]. لا يرد ذِكْرٌ في سفر أعمال الرسل عن هذا السجن، لكن سفر الأعمال ـ مثل المؤلّفات التاريخيّة ـ ينتقي القصص التي يروي عنها. يشير الرسول بولس إلى بعض المحن التي واجهها في أفسس (١كو ١٥:٣٢، ٢كو١:٨ ـ ٩)، كما يتكلَّم عن معاناته في السجون المختلفة بصيغة الجمع (حتى قبل سجن قيصرية وسجنه في روما) وذلك في (٢كو ٦:٥، ١١:٢٣). بيد أن اصطدامه مع السلطات في أفسس والذي نتج عنه سجن قصير هو أفضل سيناريو يمكن تصوُّره.

فليمون وأهل بيته

هناك تطابق شديد بين الشخصيات الواردة في رسالة فليمون ورسالة كولوسي. حيث إن أنسيموس، الشخصيّة الرئيسّة في رسالة فليمون، فضلاً عن تيخكس، ظهرا كراجعين إلى كولوسي من موقع سجن بولس (كو٤:٧ ـ ٩). وأرخيبوس ذُكر في التحيات الختامية لرسالة كولوسي (كو٤:١٧، فل٢). نفس الأشخاص العاملين مع بولس، مع اختلاف طفيف، يحيطون به في كلا

---

[1] Joseph A. Fitzmyer, *The Letter to Philemon* (New York: Doubleday, 2000), p. 10.

[٢] يضيف فيتزماير Fitzmyer قائلاً: لأن المقدمة الماركيونية لرسالة كولوسي تفترض بالفعل سجنًا في أفسس، وربما تقدم شهادة مبكرة لدراياتها بمثل هذه التجربة.(*Philemon*, p. 10)

الرسالتين: أبفراس، مرقس، أرسترخس، ديماس، لوقا.. (كو٤: ١٠-١٤، فل٢٣-٢٤)[٣].

وإنه لمن المؤكَّد جدًّا أنّ فليمون قد عاش في كولوسي وكانت الكنيسة التي في بيته جزءًا من مجموعة كنائس مماثلة في الثلاث مدن المجاورة: كولوسي، لودكية وهيرابوليس[٤].

لم يبشر بولس هذه المدن بنفسه «لم يكن معروفًا بالوجه لهم» (كو٢: ١)، ويبدو من المحتمل أنّها كانت دائرة الخدمة التبشيريّة الخاصة بأبفراس (كو٤: ١٢-١٣). لقد آمن فليمون على يدّ بولس شخصيًّا، وإلاّ لِمَن يمكن أن يقول بولس: «إنك مديون لي بنفسك أيضًا» (فل ١٩)، ومن يمكن لبولس أن يفترض دينًا كبيرًا من العرفان بالجميل والالتزام (فل١٣). ولابد أن بولس قابل فليمون خارج كولوسي،على الأغلب خلال إقامته الطويلة في أفسس. ويتكلّم بولس بحبٍ شديد عن علاقتهما كعلاقة شراكة في الخدمة وصداقة (فل١٧). وهو فليمون «المحبوب» و«العامل معنا» (فل١). ربما تكون "أبفية" و"أرخبس" من أفراد عائلة فليمون[٥]، وقد آمنا إمّا على يد بولس أو فليمون عند عودته. وبصفة عامة يظهر أن بولس لديه معرفة شخصيّة بهما أيضًا.

تبدو رسالة فليمون كخطاب خاص للتوسُّط بين شخصيتيْن بالنيابة عن شخص ثالث أكثر من كونها عرض متّقد بالمشاعر لبشارة الإنجيل، أو

---

[٣] لوك تيموثي جونسون يفهم أن جميعهم كانوا في السجن مع بولس *Writings of the New Testament*, 2nd ed. [Minneapolis: Fortress, 1996], p. 350), ولكني أتفق مع فيتزماير أن هذا ليس بالضرورة ما يتطلبه النصّ (*Philemon*, p. 125). وفي الواقع فكل رسالة تحدد رفيق سجن واحد (أرخبس في كو٤: ١٠، وأبفراس في فل٢٣) وليس هذا يعني أنهم كانوا سجناء في نفس الوقت .

[٤] ... يفترض جون نوكس أن فليمون هو أسقف لاودوكية وبالتالي فإن هذه الرسالة هي الرسالة المفقودة إلى اللاودوكيين المشار إليها في كو٤: ١٦ (*Philemon Among the Letters of Paul*, rev. ed. [Nashville: Abingdon, 1959) ، ولكن إعادة رسم الأحداث بمثل هذا التعقيد (وهو أن أرخبس هو سيد أنسيمس الحقيقي، ولم يكن في مقدور بولس أن يوجه إليه خطابه مباشرة). هذه الفكرة لم تلق تاييدًا من أحد.

[٥] يذكر آرثر جي باتيزيا أنه لا يوجد ثمة دليل يدعم هذه الفكرة.
"Philemon, Letter to", in *Dictionary of Paul and His Letters*, ed. G. F. Hawthorne and R. P. Martin [Downers Grove, Ill.: InterVarsity Press, 1993], p. 703

دحض للمعلمين الكذبة أو مجموعة من التعاليم الأخلاقيّة العامة. هناك الكثير من الأمثلة المتطابقة لهذا الوصف في المراسلات الشخصية لأفراد آخرين من أمثال " بليني الأصغر". وبالرغم من توجيه الخطاب، ليس لفليمون فقط، بل لـ "أبفية" و"أرخبس" وجماعة المؤمنين الذين يتقابلون في بيت فليمون (فل٢)، إلاّ أنّ بولس يُحوِّل قضيّة شخصيّة إلى قضيّة عائلة بأكملها بالمعنى الأشمل للعائلة المسيحيّة. ستصبح جماعة المؤمنين في هذه البلد شاهدًا على طلب بولس، ومن ثمّ استجابة فليمون. ليس في مقدور فليمون أن يتصرّف بشكلٍ خاص فيما يتعلّق بأمر أنسيمس، الذي يُمثِّل الآن جزءًا من عائلة اللّه الكبيرة، وليس مجرد بيت فليمون.

قصة أنسيمس

كان أنسيمس أحد العبيد، ومجرّد "أداة حيّة" ضمن أغراض بيت فليمون[٦]. ليس لدينا حقائق مؤكَّدة عن دوافع أنسيمس التي قادته لترك بيت فليمون. أقرّ بولس أن أنسيمس كان غير نافع لفليمون كعبدٍ (فل١١)، ولكن خلاف ذلك ليس لدينا سوى تخميناتٍ غامضةٍ. افترض الكثيرون أنّ أنسيمس سرق سيده ثم هرب بعيدًا ليتجنّب العقوبة، لكن هذا الافتراض مبني على دليل ضعيف للآية ١٨، وعلى الصورة التقليديّة لـ "العبد الماكر" في الكوميديا اليونانيّة والرومانيّة، والذي يسرق سيّده وأخيرًا يشتري حريته بأموال سيده أو يهرب بما سرقه قبل أن ينال جزاءه[٧].

بعض السيناريوهات الأخرى على نفس القدر من الاحتماليّة. على سبيل المثال، ربما كان أنسيمس ببساطة غير راض بشدة عن حياته كعبد. وربما كان أنسيمس شابًا يافعًا أو ربما كان مراهقًا .. أو شخصًا لم يرضَ بنصيبه الذي ولد فيه مقرِّرًا الاستقالة. وربما رأى في واجباته عبثيّة كانت تنخر في عظامه. ربما (انجذب إلى مهنة معيّنة) أو شكل من الفنون، أو حتى إلى

---

[6] Aristotle *Pol*. 1.4 1253b31

[٧] إن من طرح هذا التفسير تحديدًا هو A. D. Callahan. انظر:
A. D. Callahan, "Paul's Epistle to Philemon: Toward an Alternative *Argumentum*", *HTR* 86 (1993): 361.

الفلسفة وأراد أن يسمح له فليمون أن يواصل حياته بينما يظل عبدًا له. "إبكتيتوس *Epictetus*" على سبيل المثال كان مثالاً للعبد السيّئ، ولكنه كان فيلسوفًا مهيبًا. وفي النهاية منحه سيده إذنًا للدراسة مع الفيلسوف الرواقي "موزينوس روفوس *Musonius Rufus*"، ثم نال حريّته ليواصل حياته في دراسة الفلسفة. أو ربما أثناء أداء واجباته (أو حتى في لحظةٍ من التمرُّد) قد تجاوز حدوده مع سيده بشكلٍ واضح، أو بشكلٍ بسيط ومتدرِّج، وخشي أنسيمس من أصداء ذلك. كما يمكننا أن نُخمِّن إلى ما لا نهاية من الدوافع، لكن ما فعله أنسيمس كان في غاية الوضوح: لقد ترك أنسيمس بيت سيده فليمون دون موافقته.

إنّ الاستنتاج العام هو أن أنسيمس عبدًا آبقًا، وهذا يضعه في خطرٍ داهم. إذا أُمسك، فعقوبة العبد الهارب الجلد الشديد من قِبل سيّده أو ربما الإعدام. مثل هذا الشخص غالبًا ما يذهب ليعيش في السراديب في مدينة كبيرة أو بلدة بعيدة. وغالبًا ما يعيش على الأعمال الإجراميّة. كان بعض العبيد الهاربين يسعون للّجوء إلى المعبد أو تمثال الإمبراطور ليس أملاً في الحريّة، ولكن من أجل أن يُباعوا بواسطة الكهنة إلى سيّد أفضل. وبناءً على هذا المثال، أقنع بولس، العبد الهارب، أن يرجع إلى سيّده واثقًا في تأثيره (بولس) على فليمون لإيجاد وسيلة صلح بينهما، وإنقاذه من عواقب فعلته.

وعندما نقترب لنفهم أكثر عن كيفيّة عمل نُظم الرعاية في العالم القديم، فإن صورة مختلفة تظهر بشكل أوضح. أولئك العبيد الذين يختبرون صعوبة في بيوت أسيادهم كان من المعروف أنّهم يغادرون بيت سيّدهم بحثًا عن أحد أصدقاء سيّدهم ليقع عليه الاختيار ليكون بمثابة محاميًا يدافع عن قضيتهم. كان صديق السيّد يعمل كوسيط أو واسطة بين العبد وسيّده أملاً في رجوع العبد مرّة أخرى لحالةٍ أكثر احتمالاً. مثل هذا العبد لا يُعتبر هاربًا ومُلاحقًا من الناحية القانونيّة، ولكنه يظل في حقيقة الأمر عاصيًا عند أهل بيت السيّد، لأنه لاذ بالفرار لأحد أصدقاء سيّده، لكنه لا يُعتبر عبدًا هاربًا[٨]. ولإن كان

[٨] العقوبة القانونية لهذا الفعل ينسب إلى "بروكولوس" في القرن الأول قبل الميلاد. انظر: =

أنسيمس لا يزال مُعرِّضًا نفسه لخطر كبير بمغادرته لبيت سيّده فليمون - فربما يُعاقب كهاربٍ في أي مرحلة من رحلته إلى بولس. (إذ كيف يتثنى له إثبات أن نيّته كانت الاتّصال بأحد أصدقاء سيده؟).. اللّهم سوى خطاب قصير من بولس يحميه أثناء عودته[٩].

وبمجرّد أن قابل أنسيمس، بولس، فإنه لم يجد محاميًا فحسب، بل أبٌ روحيٌّ أيضًا.

لقد أتى بولس بأنسيمس إلى الإيمان، ومن الغريب أن هذا شيءٌ لم يحقّقه فليمون، وربما لم يحاول حتى أن يُحققّه. والآن يمكن لبولس أن يتحدّث بالنيابة عن أنسيمس، ليس فقط كشخص يتوسّل، في حاجة لوساطته، ولكن كابنه في المسيح. وكأخٍ في الربّ يجب على فليمون أن يُجسِّد له استجابة جديرة بالأخوّة المسيحيّة. بالإضافة إلى أنّ إيمان أنسيمس بالمسيح أحدث تحوُّلاً في حياة أنسيمس الشخصيّة. يقول بولس إن أنسيمس كان في السابق غير نافع لفليمون، لكنه الآن بعد إيمانه بالمسيح صار نافعًا لكلّ من فليمون وبولس (فل١١).

بدأ أنسيمس القصّة في حالة من السخط يرجو تحسُّنًا في حياته. ولذلك نجده لا يستطيع أن يجعل نفسه نافعًا لفليمون، وذلك باختصار بسبب أنّ اللّه لم يكن قد دعاه بعد في هذا المكان. وبعد إيمانه بالمسيح، وإرشاده في الإيمان برفقة بولس، وجد أنسيمس نفسه الضائعة.

وأيًّا كان ما أراده بذهابه إلى بولس، إلاّ أنه يود أن يظلّ مع بولس ليتعلّم منه أكثر عن طريق المسيح، وليساعده في خدمته[١٠]. ولمّا وجد نفسه في الربّ، أصبح في مقدور أنسيمس الآن أن يُقدِّم نفسه للخدمة، وأن يكون نافعًا لبولس

= Jurist, in Justinian's *Digest* (21.1.17.4), and to Paulus, a second century jurist (*Digest* 21.1.43.1).

انظر: P. Lampe, "Keine 'Sklavenflucht' des Onesimus", *ZNW* 76 (1985): 135–37; Fitzmyer, *Philemon*, p. 20.

[9] Markus Barth and Helmut Blanke, *The Letter to Philemon*, ECC (Grand Rapids: Eerdmans, 2000), p. 228.

[١٠] أنا أفترض أن هذا الطلب كان نابعًا من أنسيمس نفسه. حتى لو عبَّر بولس إلى فليمون أن هذا هو طلبه (ع١٣). وإلا كان بولس يطلب أن يستعير أنسيمس طالبًا من فليمون لأن يعاقب أنسيمس بنوع آخر من العبودية.

(وهو شخصٌ عجوز في حاجة للمساعدة) حتى إذا كان في منتصف الخمسينيات من عمره)، وبطريقة ما لا يكون نافعًا لفليمون. ولكن أصبح في مقدوره أن يكون نافعًا لفليمون الآن كتعبير لدعم فليمون لخدمة بولس.

العبودية في الثقافة اليونانية الرومانية

يُقدَّر تقريبًا تعداد العبيد في العصر اليوناني الروماني بمعدل واحد في كل ثلاثة إلى واحد في كل أربعة أفراد. ولهذا فإنّ جزءًا كبيرًا من السكان كان من العبيد. وبخلاف العبوديّة في الغرب أثناء القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر الميلادي، كانت العبودية في العالم القديم مبنيّة ليس على افتراض وضاعة العِرق، ولكن كغنائم حرب أو سوابق إجراميّة، أو الولادة في عائلة من العبيد أو عدم إيفاء الدين.

كان يُنظر إلى العبد على أنّه "أحد الممتلكات الحيّة"[11] ويكون بالكامل تحت سلطة ونفوذ سيّده/ مالكه. العديد من الفلاسفة وأنصار المذهب الأخلاقي قد دافعوا عن المعاملة الأخلاقية للعبيد مشيرين إلى مزايا الحفاظ على ممتلكات العبيد[12]، أو ممتدحين السيّد الذي يظهر رعاية واهتمام من أجل رفاهية من يعولهم العبد[13]. ومع ذلك فإنّ وضع العبد كان يعتمد بالكامل على جود وكرم سيده من عدمه. وربما كانت معاملة العبيد استغلاليّة في مُجملها، كما أنّ عقاب العبيد كان قاسيًا جدًّا بشكل مريع. ربما تدَّرب العبيد على بعض المهام الخاصة في المنزل، أو في إدارة الأعمال التجاريّة، أو حتى إدارة البلاد (في حالة إذا ما كان العبيد في قصر الإمبراطور). كان العبيد يعملون في إصلاح الطرق والمعابد والمباني العامة، كما كانوا يعملون في الحقول عند أصحاب الأراضي الأغنياء، أو في أسوأ الحالات في السفن أو المناجم.

---

[11] Aristotle *Pol*. 1.4 1253b31
[12] Aristotle *Pol*. 1.6 1255b9-13
[13] Philo *Decalogue* 167; Ecclus, *On Justice* 78, 10–11

كانت حياة عائلة العبد غير مستقرّة، كما كانت بالكامل تحت سيطرة سيّده. كان العبد منفصلاً تمامًا عن سلسلة أنسابه / أنسابها محرومة من الإحساس بالهويّة التي يتمتّع بها كل الأحرار[١٤]. ليس للعبيد مكانة من الناحية القانونية ومن ثمّ فليس لديهم عقد قانوني للزواج (على الرغم من أنّ العبيد كانوا يتزوّجون من بعضهم البعض، وعادة ما يظلّون معًا مدى الحياة). أظهر "زينوفان *Xenophon*"[١٥] غموضًا شديدًا فيما يتعلّق بالعبيد والعائلات: إن العبد الوفي كان يحظى باستقرار أكبر إذا كان لديه عائلة، لكن في حالة العبد الشرير يصير الأمر أسوأ. إن زينوفان واضح في نقطة محدّدة ألا وهي أنّ الإنجاب يحدث فقط بموافقة السيّد. والأبناء الذين يُولدون للعبد كانوا ضمن ممتلكات سيّد ذلك العبد. وفي الأغلب، فإنّ هؤلاء الأبناء كانوا يظلون في ملكية السيّد إلى أن ينتقلوا إلى ورثة هذا السيّد. ومع ذلك كانت هناك دائمًا احتماليّة أن يُعاني العبد من رؤيته لتحطيم عائلته إذا قرر السيّد أن يتخلّى أو يبيع بعضًا من أفرادها. وحتى لو كان يشتغل كملاحظ عمّال أو عامل في الحقل أو ناسخ أو مُدلِّك، فإن غياب الاستقلاليّة يجعل من العبوديّة بلاءً لأولئك الذين كان قدرهم أن يولدوا عبيدًا أو يصبحوا عبيدًا فيما بعد. كان يمكن نظريًّا أن يشتري العبد حريّته / حريتها بالأموال التي جمعها خلال عمله بالنيابة عن سيّده. وغالبًا ما كانوا ينالون الحريّة بواسطة السيّد بإرادته كتعويض لعشرات السنوات من الخدمة الأمينة، وكعلامة على روحه السمحة. ومع ذلك فإن الحريّة هي أن تظل وفيًّا لبيت السيّد لبقيّة الحياة، وأن تظلّ بشكلٍ ما خادمًا لبيت السيّد.

غرض بولس من كتابة الرسالة

أولاً: كتب بولس هذه الرسالة القصيرة لينقل العلاقة بين فليمون وأنسيمس إلى مستوى جديد. في هذا المستوى لن يتعاملا مع بعضهما مُجددًّا كعبدٍ وسيّد، وإنما كأخوين في الربّ. وهذا يتطلّب قدرًا كبيرًا من الامتثال

[14] Patterson, *Slavery and Social Death*, p. 5; Byron, *Slavery Metaphors*, pp. 115–22
[15] *Oeconomicus* 9.5

والشهامة من جانب فليمون. والذي سُئِل أن يتخلّى عن حقوقه حسب مقاييس العالم ومن ثمّ يستطيع أن يحيا بما هو صحيح في العائلة الجديدة التي أسّسها الله.

ثانيًا: يلتمس بولس من أجل العفو عن أنسيمس. ولم يستخدم بولس أبدًا كلمة "عتق"، وإنما رفض بولس نموذج علاقة العبد بالسيد (فل١٥ ـ ١٦) ووضع بدلاً منها اللُّغة العائليّة التي تتّسم بالمساواة بين البشر .. لُغة الأُخوّة، وكان يدفع بشدة في هذا الاتجاه. ربما كان أنسيمس سيحصل على الحريّة التي يريدها من فليمون من وجهة نظر القانون، ومع ذلك كان سيظل عضوًا في أهل بيته، عاملاً معه مدى الحياة، كما يمكنه أن يصبح حرًّا في إطاعة قائد حياته الجديد، الربّ يسوع. أخيرًا، يلتمس بولس هدية أبسط، ألا وهي كرم الضيافة حيث كان بولس يتوقّع إطلاق سراحه من سجنه وقتذاك (فل٢٢).

خطة بولس الرعوية في رسالة فليمون

ترتكز خطة بولس الرعويّة على الصداقة التي تجمع بينه وبين فليمون. "الصداقة" هنا هي شكل من أشكال علاقة المُعين / المتلقّي الخدمة. وهي علاقة تتضمن تبادل المصالح بشكلٍ مستمر. إنّ الصداقة الأصيلة عادة ما توجد بين أناس على نفس المستوى الاجتماعي (حتى السادة ذوي المكانة الأرقى يظلون يشيرون إلى من هم تحت حمايتهم كأصدقاء حرصًا على مشاعرهم). ومن وجهة نظر غير المؤمنين، ربما يبدو بولس وفليمون ليسا مناسبين لصداقة تقوم على مبدأ التساوي. فبولس أقل من الناحية الاجتماعيّة، ويفتقر إلى الممتلكات، يعمل بيديه في مهنته، مطرودًا بعيدًا عن موطنه الذي كان يحظى فيه بوضعٍ اجتماعيٍّ في مجتمعه المحلّي (على الرغم من أنّ الجنسية الرومانيّة تُخوِّل له أحقيّة عالميّة في وضعٍ اجتماعيٍّ قانونيٍّ محل تقدير). على الجانب الآخر، فليمون وهو رب أسرة لديه إمكانيات كافية لاستضافة اجتماع للمؤمنين في نطاق بلدته (هذا يعني أن منزله لابد وأنه كان جيّدًا فوق المتوسط)، كما أنّه يُشارك في أعمال خيريّة تجاه المسيحيين المُحتاجين، وربما

تجاه بولس بشكلٍ خاص. هذا يعني أنّ فليمون، على خلاف غالبيّة الناس، كان لديه قدرًا كافيًا من المال الفائض. كما أنه يتمتّع بصيتٍ، كرجل كريم، وأحشاء القديسين قد استراحت به، وبدون شك يُعتبر هو الراعي للاجتماع الذي ينعقد في منزله.

مع ذلك يدَّعي بولس أنه بمثابة راعٍ لفليمون على أساس أنّه من أتى برسالة الخلاص إلى فليمون. وعلى خلافٍ تامٍ لما هو ظاهر، فإن فليمون هو من كان دائمًا مدينًا لبولس الذي ربطه بالمسيح الحي، وبوعود الله، وليس أن بولس هو بشكلٍ ما الطرف الأقل شأنًا في هذه العلاقة. عندما التمس بولس عونًا من فليمون فقد فعل هذا على أنه الشريك الذي يحتل المكانة الأقوى والأعلى شأنًا، موضّحًا أن فليمون ليس في مقدوره أن يرفض مطلب بولس، إذ أنّه ما زال يعمل بإخلاص وأمانة تجاه علاقتهما المتبادلة. بلطفٍ جمّ ذكَّر بولس، فليمون، بمدى مديونيّته له في نهاية رسالته: «.. إنك مديون لي بنفسك أيضًا» (فل١٩) طالبًا بانفتاح، خدمة ماديّة كرد فعل ملائم، وكمقابل لهذه البركات الروحيّة (فل٢٠). وبالرغم من أنّ العطيّة غير منظورة، إلاّ أنها حقيقيّة وفائقة لكل العطايا المنظورة. (نفس الفكرة التي تُعبِّر عن التبادليّة ـ مشاركة الجسديات مع أولئك الذين يمنحون الروحيات ـ تظهر في رسالة القديس بولس إلى أهل رومية ١٥:٢٥ـ٢٧)

يطالب بولس أن يحظى بطاعة فليمون كخادمٍ له، والذي يبدو وكأنّه أقلّ شأنًا من الناحية الاجتماعيّة إلاّ أنه ربما تكون استجابته (فليمون) بعمل الخدمة شيئًا مُستحقًّا على أساس عطيّة الخلاص التي صارت له بواسطة بولس (فل١٤، ٨). مع ذلك يُفضِّل أن يتعامل معه كصديق، وعامِل معه وشريك وعلى هذا الأساس يطلب راجيًا الآن أن يستفيد من كَرم فليمون الدائم تجاه القديسين، والشيء الذي أكسبه مزيدًا من الاحترام بين الشعب (فل٤ ـ ٧). وبعمله هذا يعطى بولس مثالاً لفليمون الذي هو مطالب بدوره أن يتخلّى عن حقوقه ونفوذه كمالك للعبيد. وتمامًا كما رفض بولس أن يستخدم سلطاته التي يمتلكها بفضل علاقته الطويلة بفليمون، فهو يتيح لفليمون الحريّة أن

يتصرّف بمبادرة ذاتيّة منه. ولإن كان فليمون مُطالبًا أن يرفض استخدام نفوذه كمالكٍ للعبيد على أنسيمس، فبالتالي ترك لأنسيمس الحريّة لأن يتصرّف بمبادرة ذاتيّة منه تجاوبًا مع دعوة الله لحياته. وهذه بالفعل إحدى الطرق العمليّة الكثيرة التي نرى فيها فكر المسيح (كما يُعرَّف في رسالة فيلبي ٢:٣ ـ ١١) يظهر بشكل واضح في الكنائس التي بشّرها بولس.

ومع ذلك، فإنّ العطيّة التي يسعى إليها بولس هي بشكلٍ جزئي من أجل نفسه. يكتب بولس رسالته بالنيابة عن طرف ثالث، أنسيمس، واضعًا نفسه في دوره الأساسي كوسيط في هذه الرسالة. فهو يحاول أن يستفيد من صديقه فليمون من أجل شريكه الجديد في الخدمة أنسيمس. بالحقيقة صار أنسيمس شريكًا لبولس (وصديقًا) بنفس قدر فليمون .. أعني من خلال قبوله الإنجيل على يد بولس. يصف بولس هذه العلاقة بعبارات مفعمة بالمحبة لأب وابنه. إن توسُّط بولس يعني أن فليمون لا يجب أن يعامل أنسيمس (ربما كما يعتقد) كما يستحق، ولكن مثلما يستحق بولس صديقه.

الآية ١٨ التي تتكلّم بعبارات عامة عن أي خسارة أو أذى تكبّده فليمون من جرّاء خدمة أنسيمس السيئة في منزله، أو المتاعب التي تسببت فيها مغادرته هاربًا من المنزل، أو ربما اختلاسه قدرًا يسيرًا من المال كان أنسيمس في حاجة إليه في رحلته ليرى بولس[١٦]. تُفهم هذه العبارات بشكل جيّد في سياق هذه الخلفية. يتدخّل بولس بنفسه وبالدين الهائل الذي يعتقد أن فليمون مدينًا له به من خلال إيمانه بالمسيح بين فليمون، وأية متاعب ربما سبّبها أنسيمس قبل كتابة هذه الرسالة. وهذا من شأنه أن يزيل أية عقبات للصلح بين فليمون وأنسيمس. أي أذى يكون على حساب بولس والذي يظل دائمًا معطاءً بفيض. وعلى فليمون أن يظهر صداقته لبولس بقبوله لأنسيمس كما لو كان يقبل بولس نفسه (فل١٢،٣٧).

---

[١٦] الرأي الأخير يرجّحه O'Brien انظر:
P. T. O'Brien, *Colossians, Philemon*, WBC (Waco, Tex.: Word, 1982), pp. 299–300.

هذا النوع من الوساطة كان شائعًا في الثقافة اليونانيّة الرومانيّة[١٧]. وترد العديد من الأمثلة على ذلك؛ فعلى سبيل المثال في خطابات "بليني *Pliny*" إلى الإمبراطور "تراجان *Trajan*"[١٨] يسعى "بليني" أن يمنح "تراجان" منصبًا في مجلس الشيوخ لصديقه "فوكونيس رومانس *Voconius Romanus*". ويخاطب بلينى تراجان بوضوح، كمنتفع من الخدمة، مواصلاً سؤاله من أجل فوكونيوس. يُقدِّم بليني شخصه كضامن لفوكونيوس، وأنّ تقدير تراجان لفوكونيوس لا ينفصل عن تقديره لبليني. في الحقيقة إنّ تقدير تراجان الملائم لبليني، وليس فوكونيوس، هو الذي سيمنح تراجان معروفه على أساسه.

إن توجيه هذه القضيّة التي تبدو شخصية إلى أذهانٍ، ليس فقط فليمون، وإنما العديد من أفراد بيته الآخرين وكل جماعة المؤمنين الذين يجتمعون في بيت فليمون، يخدم أهداف بولس استراتيجيًّا إلى حدٍّ ما. جعل بولس من جماعة المؤمنين شاهدًا على رد فعل فليمون، وكأنّها محكمة سيتحدَّد من خلالها الصيت الجديد الذي سيلازم فليمون؛ صيتًا بالكرم وإخلاصه تجاه صديقه بولس (الذي يعلن بوضوح عن امتنان فليمون له)، وإخلاصه لعلاقة النسب الجديدة للعائلة المسيحية التي انضم إليها أنسيمس الآن. ولكن، ماذا سيكون موقف فليمون أمام الكنيسة إذا رفض هذا الالتماس؟

وأخيرًا طلب بولس لغرفة في بيت فليمون يشير أيضًا لفليمون أنّ بولس ينوي زيارته عندما يُطلَق سراحه من السجن. سيأتي بولس بنفسه ليرى تأثير رسالته، سواء تصرّف فليمون كصديق صالح وكشريك لبولس في الالتزامات المتبادلة التي تشاركوها كأصدقاءٍ أم لا.

طلب بولس التماسًا من الصعب أن يرفضه فليمون. فقد امتلك بولس ادعاءً قويًّا بعرفان فليمون لأنه (كما يرى بولس) مدين له بحياته. حياته الجديدة التي وجدها في المسيح والتي نالها بمساعدة بولس. إنّ رفض بولس، لدى التماسه لمعروف في مقابل ذلك، ربما يعتبر عملاً ينطوي على جحود مشين. علاوة على

---

[١٧] مازال هذا الأمر غامضًا في ممارستنا لهذا النوع من خطابات التزكية.

[18] *Ep.* 10.4

ذلك فإن بولس يُقدِّم نفسه كمن في حاجة شديدة للمساعدة (كسجين وكشخص مُسِن: فل٩).

يرى بولس أن له سلطان أن يحظى بقبول فليمون، إلاّ أنّه يريد أن يتصرّف فليمون بشهامة نابعة من ذاته. وما لم يتجاوب فليمون بطريقة إيجابيّة، لن تهبه شهامته أي سمعة حسنة في المجتمع. وإذا رفض فليمون، وأصرّ بولس على طلبه، فإمّا أن تنتهي علاقته مع بولس، أو يفقد أنسيمس على أيّة حال، دون الحصول على أي شرفٍ كصديق معطاء وموثوق فيه. وإذا قبل فليمون، فإن خدمة أنسيمس لبولس ستعود عليه وستضيف لسمعته. حيث إن أنسيمس خدم بولس ربما كما كان على فليمون أن يفعل (فل١٣)، وسيكون في إمكانه أن يستمر في خدمته إذا أطلق فليمون سراحه ليفعل هذا.

أهمية الرسالة

ليس عبدًا ولا حرًّا

حارب الكثيرون مصداقية رسالة كولوسي وأفسس وذلك بالتحديد بسبب أن هذه الرسائل تنطوي على بعض "القواعد المنزليّة" والتي تعتبر بمثابة خطوة كبيرة للخلف من إعلان بولس أنه في المسيح «ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبدًا ولا حرًّا. ليس ذكرًا وأنثى» (غلاطية ٣:٢٨). لماذا كان بولس يحارب التمييز بين العبد والحر بنفس الهمّة التي يقاوم بها شرعيّة التفريق بين اليهود والأمم؟

ربما ألقت رسالة فليمون بعض الضوء على هذا السؤال إذا ما كانت رغبة بولس أن يحظى بأفراد يسيرون على هذا المثال بأنفسهم (ببعض التحفيز بالطبع) أكثر من طريقة إصدار الأوامر. التوفيق بين هذه الخطوط المتعارضة يحدث عندما تعيش الأطراف المعنيّة وحدتنا في المسيح بقلب صادق وليس عن اضطرار. بينما أعطى العبيد والسادة قواعد للسلوك ومن ثمّ أُخبروا أن يتمّموا واجباتهم الاجتماعيّة في ضوء التزامهم لشخص المسيح (أف٦: ٥ ـ ٩، كو٣: ٢٢ ـ ٢٥). في رسالة فليمون يُعبِّر بولس عن أمله في أن تحل بين المؤمنين علاقة

النسب الجديدة محل الفروقات الاجتماعية القديمة، وجدران العدواة بينهم (انظر: أف ٢: ١٤ ـ ١٥)

عندما يتعرّض شخصٌ ما (في الكنيسة) لضغوطٍ كفرد، حينئذ لن يوجد ما يسمّى بالقواعد المنزليّة كتلك التي يحتمي خلفها فليمون. العلاقات الجديدة التي تكوّنت في الربّ لا يمكن حصرها فقط في الأمور الروحيّة أو الدينيّة، لابد أن تُعاش أيضًا «في الجسد» (فل١٦). لا يمكن أن يكون أنسيمس أخًا لفليمون يوم الأحد فقط، وعبدًا بقيّة الأسبوع. النمط الجديد للمعاملة لابد أن يصير ساري المفعول في كل جوانب الحياة اليوميّة أيضًا. يحث بولس، فليمون، أن يُقرِّر هل سيسلك كأخ مسيحي تجاه أنسيمس (ومن ثم يتأكّد لفليمون موقعه الخاص في عائلة المسيح)[١٩]. إنه يضع أمام فليمون تحديًا لأن يعيش الحقيقة الواردة في (٢كو ٥: ١٦ ـ ١٧)، وأن يتعامل مع أنسيمس كعضو في الخليقة الجديدة وقد صارا سويًّا في المسيح، في العائلة الجديدة التي للّه، وليس على أساس هويّة أنسيمس من منظور أرضي، كعبد فليمون.

الإيمان الفاعل في العطاء

هذه الرسالة تظهر داخل إطار التحيّة المعتادة والختام، وكلاهما يُعبِّران عن إرادة نعمة اللّه المستمرّة أن تستقر على الكنيسة التي في بيت فليمون (فل ٢٥، ٣). وهذا يبدو مؤثرًا بشكلٍ خاص في هذه الرسالة حيث يلتمس بولس خدمة ما من فليمون، كتعبير عن النعمة التي لفليمون، والتي يعتبرها بولس رد فعل مناسب لقبول فليمون لنعمة اللّه من خلاله. إن امتداد نعمة اللّه نحو المؤمنين لابد أن يثير امتداد النعمة لبعضنا البعض. لقد سبق فليمون وفعل ذلك بقدرته على الحفاظ على الحالة الماديّة المستقرة للمنزل مانحًا حسن الضيافة للإخوة والأخوات الذين يجتمعون في بيته، ومُقدِّمًا بسخاءٍ، المساعدات الماليّة وقت الحاجة. وها هو يُسأل مرة أخرى ليمنح مساعدة في إطار إمكانياته.

---

19 C.F. *Rediscovering Paul: Philemon and the Sociology of Paul's Narrative World* (Philadelphia: Fortress, 1985), pp. 264–70.

هذه الرسالة القصيرة تعطينا درسًا مفيدًا في الخدمة والتجاوب مع الله. وتوفّر علينا الارتباك الناجم عن خلط الدين بالأمور الماليّة. وطبقًا لنموذج بولس فإن المؤمنين يتجاوبون مع سخاء الله باستخدام أي شيء يهبه الله لهم في تسديد احتياجات الآخرين في جسد المسيح. تمامًا كما أغدق علينا جود الرب في المسيح وعون الروح القدس. وأنّ الله سيستمر في عمله بسخاءٍ حتى يقترب زمان الميراث، وهذا بالنسبة لبولس يجعل الإيمان فعّالاً (فل٦) بتسديد الاحتياجات الحقيقيّة لجماعة المؤمنين. يُزيل بولس أيضًا عقبة كؤود أمام العطاء بسخاء، أعني ذلك العُذر أننا ربما نُجرح بشكل ما بواسطة الشخص المحتاج. بولس يخبر فليمون بألا يضنّ بحُسن المعاملة على أنسيمس بسبب أي خسارة ربما قد طالته من قِبَل أنسيمس، ولكن أكثر من ذلك أنه يضيف ذلك على حساب بولس الخاص. بالمثل، أمامنا تحدٍّ أن نقيس "ديون" الآخرين بديوننا تجاه الله، وأن نغفر كما غفر الله لنا، وأن نُشارك ونساعد بسخاءٍ كما ساعدنا الله وأعاننا.

ما هي نهاية القصة؟

بينما سافر إغناطيوس الأنطاكي للإعدام في روما تقابل بممثلي العديد من الكنائس الذين ساندوه بالتعزية والتشجيع، والذين أخذوا رسائل منه إلى كنائسهم. كان من بين هؤلاء الزائرين أنسيمس أسقف أفسس والذي تكلَّم عنه إغناطيوس بشكلٍ إيجابي جدًّا خلال رسالته إلى كنيسة أفسس. وبالرغم أن أنسيمس كان اسمًا شائعًا بين العبيد، إلا أنّ القليل جدًا من العبيد باسم أنسيمس كانوا من المحتمل أيضًا أن يصلوا لدور قيادي بارز في الكنيسة. كان من المحتمل جدًّا (مجرد احتمال فقط) أن أنسيمس برجوعه من كولوسي إلى بولس في سجنه في أفسس كان قد خدمه هناك، ثم واصل خدمته في كنيسة أفسس، ثم صار بعد ذلك مرشدًا روحيًّا للكنيسة.

ولو كان أنسيمس مراهقًا صغيرًا في الوقت الذي كان يبحث فيه عن وساطة بولس، فربما كان في السبعينيات من عمره عندما تقابل مع إغناطيوس ١١٠م. وربما هذا يساعدنا في تفسير الحفاظ على تلك الوثيقة

(الرسالة) الشخصيّة جدًا والمختصرة والتي كتبت داخل سياق رسائل العهد الجديد، إذ أنّ هذا المستند يمثل بالحقيقة شهادة الرسول إلى قائد كنسي في وقت لاحق. وربما أيضًا يعطينا شهادة مذهلة عن القوة الدافعة للخدمة والقيادة التي انطلقت بدعوة من الله وليس بواسطة مصير يتشكّل على نظام طبقي مجتمعي، أو لافتات خارجيّة مصطنعة، ولكن بواسطة المجتمع المسيحي الداعم لتلك الدعوة، من خلال العيش في وحدة أخويّة كاملة في المسيح.

رسالة فليمون وتأسيس الخدمة

التحدي الأساسي لرسالة فليمون هو تجسيد الحقيقة الجوهرية للعائلة الجديدة التي يقبلنا فيها الله بالمسيح، حيث إنّ كل من يدعو باسم يسوع [متحدين ببعضهم البعض في المعموديّة] هم إخوة وأخوات أولاً وقبل كل شيء أيًّا كانت وظائفهم وأوضاعهم الاجتماعيّة الأخرى، والتي خلعها عليهم المجتمع. عندما ترى أنت ومن هم تحت رعاياتك شخصًا مسيحيًّا ينتمي لعرق مختلف، ماذا ترى في البداية؟ شخصًا له عرق مختلف أم أخًا أو أختًا في المسيح؟ هل تقيِّد الحدود والأسوار التي مازالت تنظم العلاقة بين الأعراق المختلفة علاقتك بهذا الآخر؟ هل تحتويه وتتفاعل معه أو معها كأخ أو أخت في المسيح؟ نفس السؤال يمكن أن نسأله للعمال وأصحاب العمل، أو الناس من أوضاع اقتصادية متباينة، المتحرِّرين والمحافظين، الأقرباء من دم واحد (كثير من الشقاقات بين الأنسباء والتي في المسيح يمكن أن تصل إلى حلول وتسويات بالنظر إلى بعضنا البعض بالكرامة والمحبّة اللائقة بأولاد الله). السؤال ذاته يمكن أن نسأله للزوجين، من بين جماعة المؤمنين، الذين لديهم مشكلةٍ ما، حيث تجتاح النصوص غير المسيحية، العلاقات السويّة في نطاق الخلاص، والتي نحن مدعوون بأن ننعم بها في المسيح.

وإذا أحيلت كل هذه الأسئلة إلى السؤال الرئيسي: هل أنا أعامل هذا الزميل المسيحي كأخ أو أخت لي؟ ستكون التأثيرات المفيدة بعيدة المدى حقًا. وأيًا كان المكان الذي يضع الله فيه المسيحيين سواء في الدفاع العسكري أو الصناعة أو المعاملات البنكيّة التجارية أو التعليم، فإن بولس يدعوهم أن

يتأمّلوا كيف يؤثرون في عائلاتهم الصغيرة والعائلة الكونية في المسيح في كل قراراتهم وممارساتهم. إن صدق إيماننا وحقيقة مكاننا في عائلة الله لابد أن يظهر في أعمالنا.

يلمح بولس أن المؤمنين ينتمون إلى عائلة الكنيسة ككيان واحد، وليس لكنيسة ما في أحد بيوت المؤمنين. وهذا ما جعل بولس يحيل قضية أنسيمس إلى كل جموع المؤمنين، ويضع فليمون أمام المساءلة أمام الرأي العام تبعًا لمعاملته لأنسيمس. على نحو مماثل فإن الكنيسة ليس هدفها التدخّل، بل بالأحرى تتميم وظيفتها كعائلة لله عندما تعمل على التأكُّد من أن كل أفراد عائلتها يعاملون بالمحبة والكرامة اللائقة بأبناء الله. العنف المنزلي وإدمان الكحوليات وتأثيراته وإيذاء الأطفال ـ كل هذه الأمور ليست قضايا خاصة يمكن استثناؤها من العمل الخلاصي لعائلة الكنيسة.

إنّ رفض بولس أن يستخدم سلطته ليأمر فليمون يشكل قيادة رعويّة صحيحة في عديد من الجوانب. أولاً: يذكرنا بولس بأهمية الاحتذاء بفكر المسيح حتى نسهِّل لمن نخدمهم عملية اكتساب فكر المسيح. ثانيًا: يستعرض لنا أهمية القيام بأفعال صحيحة نابعة من قلوب وأذهان عامليها إذا ما أردنا أن يحدث التغيُّر الذي يريده الربّ في جمهور المؤمنين لمستويات أعمق يريدها الله. الامتثال إلى ضغوط السلطة ليس هو ما يسعى إليه الله، ولكن الامتثال لفكر المسيح والإمكانات الجديدة التي تسمح بها علاقة النسب الإلهي في مجال العلاقات الإنسانية. إذا اضطر الراعي لاستخدام سلطته في الإجبار أكثر من إتاحة الفرصة للتغيير فهو ربما يحصل على نصر ضئيل عل حساب حملة أكبر نحو التشبه بالمسيح.